ثانيا: في طرابلس:

لبدة:

إن الآثار الفينيقية التي تم اكتشافها في لبدة حتى الآن هي عبارة عن عدد من القبور تحت المسرح الروماني. ومن المحتمل أن المقبرة الفينيقية كانت تقوم خارج المدينة الفينيقية التي نكاد نقطع بأنها كانت تقوم على المرتفع الواقع بين الفورم القديم ومصب وادي لبدة، وهي منطقة لم تكتشفها الحفريات بعد.

أما لبدة الرومانية فقد كانت مشيدة حسب الهندسة الرومانية التي تعتمد مبدأ الشوارع المتقاطعة عموديا وتحتفظ بتناسب قطاعي المدينة القائمين على جانبي شارع واحد هو محور المدينة. ومحور لبدة الرومانية هو شارع النصر الذي يبدأ من الفورم القديم، نواة المدينة الأصلية، ويتجه إلى الجنوب الغربي. وبامكاننا أن نكون فكرة عن النمو السريع الذي حققته لبدة من ملاحظة تواريخ إقامة عدد من آثارها: فالسوق أقيم سنة 8 ق. م. والمسرح في سنة الميلاد والكلسيديكم (Chalcidicum) بين سنتي 11، 12م. وقوس صغير لأوغستا سالوتارس، إلى الشمال من القوس السويري، بين سنتي 27، 30 م. ولم تكن لبدة الرومانية الأصلية تتمتع بأية تحصينات حجرية وإنما كانت تحيط بها دائرة كبيرة من وسائل الدفاع الرملية.

وفي القرن الميلادي الثاني توسعت المدينة شرقا وغربا: فهنالك فورم تراجان والباسيلياكا الخاصة بهذا الإمبراطور وهما ما زالا لم يكتشفا بعد ولكنهما ذكرا في بعض النقوش وربما يقومان في القطاع الغربي من المدينة الذي لم يكتشف علميا حتى الآن. وهنالك حمامات هدريان التي شيدت على محور جديد للمدينة (شمالي – جنوبي تقريبا) في سنة 126 – 127م. بين القطاع الجنوبي من مدينة القرن الأول للميلاد ووادي لبدة الذي لابد أن تكون قد أقيمت عليه سدود قبل هذا التاريخ لتحول دون فيضانه على هذا الموقع. وفي مطلع القرن الميلادي الثالث أقيمت في المنطقة الواقعة إلى الشمال الشرقي من حمامات هدريان، بين المدينة ومجرى الوادي، البنايات

السويرية المؤلفة من شارع الأعمدة، والنمفية (مقر الحواري). والفورم الجديد والباسيلكا. وفي هذا الوقت ذاته أخذ المرفأ شكله النهائي كما أقيم السيرك والمسرح المدرج خارج المدينة في الناحية الشرقية من المرفأ الذي كان يصلهما به صف من المباني القائمة على طول الشاطئ. ونظرا لعدم استكمال الحفريات فان مساحة المدينة السويرية ما زالت غير معروفة. وإن كان يعتقد أن تقاطع الطرق الذي يقوم عليه قوس سبتيميوس سويرس كان يقع داخلها وأنها كانت تمتد باتجاه الغرب حتى حمامات الصيد على أدنى تقدير.

ومن الواضح أن توسع لبدة السويرية ونموها السريع إنما هما انعكاس لتوسع سياسي متكلف نشأ عن ارتباط الأسرة السويرية بلبدة، مسقط رأس مؤسس تلك الأسرة. فعندما انهارت الأسرة سنة 235 م. بدأت المدينة السويرية تتقهقر وتنحط، وإن كان تقهقرها ذاك قد أوقف مؤقتا في عهدي ديوقلتيان وقسطنطين الكبير لينقض على المدينة من جديد وبعنف أشد في أعقاب غارات الأستوريين عليها (363 – 367 م.). وبوسعنا أن نكون فكرة عن مساحة لبدة بين 250 و 350 م. بتتبع آثار السور الروماني. وهو أول سور حجري للمدينة ويرجع تاريخه إلى هذه الفترة ذاتها.

وحوالي منتصف القرن الميلادي الخامس هدم الوندال سور المدينة الروماني المذكور وتركوا المدينة عرضة لزحف الكثبان الرملية عليها. ولم يستطع من ظلوا بها من السكان أن يفعلوا شيئا أكثر من الابقاء على مداخلها الرئيسية مفتوحة وذلك بازالة الرمال. والواقع أن السور البيزنطي الذي أقيم في عهد جستنيان لم يضم بين أحضانه سوى المرفأ والفورم القديم والفورم الجديد.

وفي الحديث عن حجر البناء المستعمل في لبدة نستطيع أن نقول بشكل عام أنه كان من صنفين:

الأول: حجر كلسي صلب يغلب عليه اللون الرمادي الفاتح ونجده مستعملا في المنحوتات الزخرفية التي تميزت بها لبدة في القرن الميلادي

الأول. كما نجده على وجوه الجدران وفي الأماكن التي كان من المتوقع أن تتعرض للضغط أو للتآكل.

والثاني نوع من الحجر الرملي وهو اقل صلابة من الأول ولذلك فقد استعمل في أماكن أقل أهمية من الاماكن التي استخدم فيها الصنف الأول.

والمعتقد أن هذين الصنفين كانا يقلعان من موقع رأس الحمّام الذي يقع على بعد خمسة كيلومترات إلى الجنوب من المدينة حيث لا تزال المحاجر القديمة ماثلة حتى الآن. أما كتل الحجارة الكلسية الضخمة المستعملة في بناء المرفأ فيعتقد انها كانت تقطع من أماكن قريبة على المرفأ في مصب وادي لبدة ولكن مواقعها لم تحدد حتى الآن.

وفي القرن الميلادي الثاني شاع استعمال الرخام كعنصر تجميل فأستخدم في الأعمدة وفي تصفيح الجدران وتبليط المصاطب؛ ونجد بينه كثيراً من الرخام الملون الذي كان يجلب من مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي. ومن أجل الاقتصاد في الوزن كانت الأعمدة وقواعدها تعد في أماكنها قبل نقلها ثم يقوم النحاتون اليونانيون باجراء اللمسات الأخيرة عليها في مواقع البناء في لبدة. ويلاحظ أن الاسمنت الروماني (إن جازت التسمية) والآجر اللذين يتميز بهما العمران الروماني في إيطاليا كانا نادرين في لبدة التي ظلت اقرب إلى الطابع الإغريقي منها إلى الروماني فيما اقامته من أبنية. ومع ذلك فنحن نجد الاسمنت مستعملا في عقد قاعة المسرح ثم بعد ذلك في حمامات هدريان وحمامات الصيد. كما نجد الاسمنت الموجه بالآجر في الباسيليكا السويرية وفي النمفية (مقر الحواري Nymphaeum).

آثار لبدة:

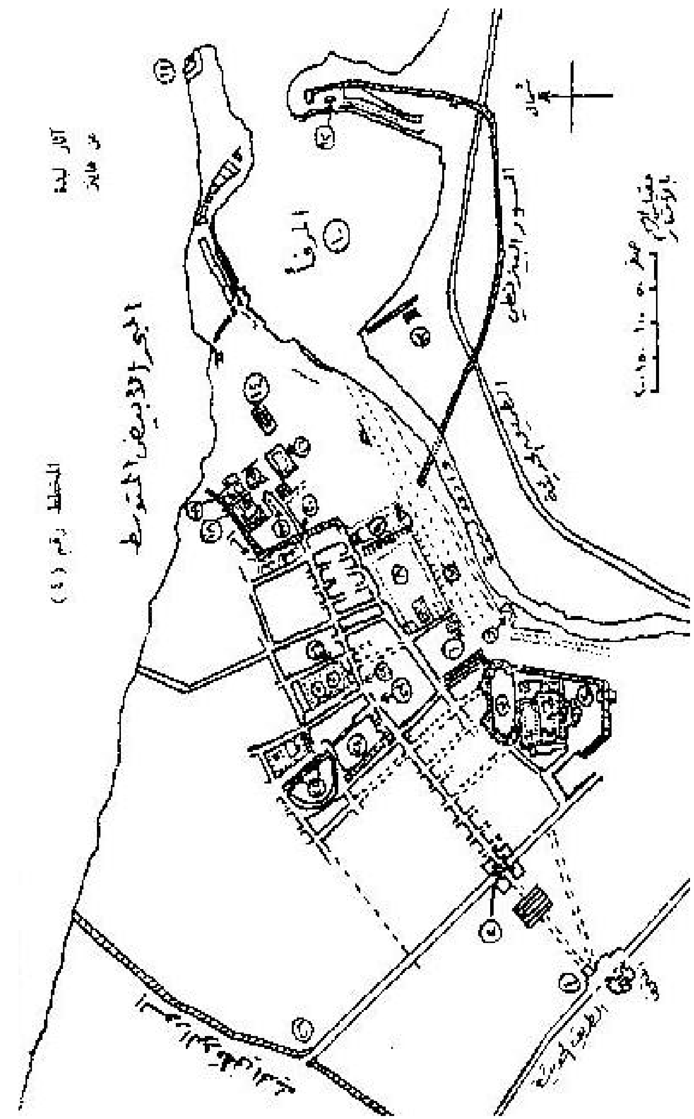
إذا اتجهت من المدخل الحالي (1). المقابل للمتحف وسرت نحو الآثار فإن الممر سيؤدي بك إلى درج حديث من الاسمنت ينتهي بك عند آخره إلى الشارع المحوري الرئيسي (Cardo) للمدينة القديمة. وبعد مسافة قصيرة

يتقاطــع هــذا الشـــارع مــع شـــارع لبــدة الرئيســـي (Decumanus Maximus) مكـونـا بذلـك أول تقاطـع طرق في المدينة حيـث تجري إعادة نصــب قــوس ســبتيميوس ســيويرس (2). الآن. ويبدو أن هــذا القـوس أقيم علـى وجه الســرعة وربما كان ذلك بمناسـبة الزيارة التي قـام بها الامبراطور ســبتيميوس سيويرس للبدة سنة 203 م. وهذا القـوس من النوع ذي الأربعة جوانب وممريــن اثنين وتدل مصطبته المرتفعة على أن العربات لم تكن تمر من تحته. وكان بنائه بالحجر الكلســي المصفح بالرخام وقد زين بكثير من الأباريز ذات المحفــورات البارزة. وكان علـى كل جانب من جانبي الممرين عمود كورنثي. وقــد نقلت عدة قطع مــن زخارف هذا القــوس المزينة بالمحفورات والأشــكال البارزة إلى متحف الســرايا الحمراء بطرابلس حيث ما زالت تشاهد حتى الآن. وبالإمكان تقسيم الزخارف ذات الأشكال إلى مجموعتين كبيرتين:

الأولــى: وتتكون مــن اربعة زنانيــر كبيرة قائمــة الزوايا وعليها رســوم وأشــكال تمثل موكبي النصر. ومشــهد تضحية. والامبراطور ســبتيميوس ســيويرس ممســكا بيد ابنه الكبير كراكلا ومعه ابنه الصغير جيتا (Geta). وهذه الصورة ترمز لوحدة الأسرة الامبراطورية.

والثانية: تتكون من ثمانية زنانير صغيرة قائمة كان كل زوج منها مثبتا مقابـل زوج آخـر على وجوه الجــدران الداخلية لكل من الممريــن اللذين يقوم عليهما القوس. وأشــكال هــذه المجموعة تمثل جماعــات تقليدية من الآلهة وإن كانت أشــكال أحد زنانيرها - وهو مع الأسف محروق ومكسور - تظهر الجنود الرومانيين وهم يحاصرون مدينة شرقية.

وبين زخارف هذا القوس الأخرى تظهر أشكال لأسرى من البربر. ولأسلابهم. ولعــدد من إلهات النصر وهــن يحملن التيجان وســعف النخيل. ولعدد من النسـور التي مثلت وقد فردت اجنحتها ووقفت على عدد من الكرات الارضية. وإلــى جانب هذا كله تظهر على الزنانير الكبيرة التي كانت تزين زوايا القوس الخارجية الأربع لفائف من أغصان العنب تنتشر بين أوراقها أشكال لعدد من العصافير وعدة أشكال لإله الحب كيوبيد (Cupid).



وبوسع المرء أن يلاحظ تعدد أساليب النحت المتبعة في هذا القوس مما يشير إلى أن النحاتين الذين أسهموا في عمله كانوا متعددين وينتمون إلى مدارس فنية مختلفة. ويكاد يكون في حكم المؤكد أن الأعمدة المربعة في الزوايا بعض عناصر الزينة الأخرى هي من نحت فنانين من أبناء مدينة أفروديسياس (Aphrodisias) في آسيا الصغرى بمعاونة مساعديهم من تلاميذهم المحليين في لبدة. ويظهر أثر هؤلاء مرة ثانية في الأعمدة المربعة في الباسيليكا السويرية التي انتقلوا للعمل فيها بعد فراغهم من أعمال القوس. ومن الواضح أن أعمال هذا الفريق تتباين تباينا كبيرا من حيث الأسلوب ومستوى المهارة الفنية. وإلى جانب ذلك نجد زنانير منحوتة تتميز بالطابع الكلاسيكي، وأخرى يظهر فيها أثر فن النحت السوري والعراقي القديم. ويشير الأسلوب الذي نحتت به عربة سبتيميوس سيويرس في أحد مواكب النصر إلى الميل العام لجعل كل الصور والأشكال تلتفت إلى أمامها بغض النظر عن الوجهة التي يجب أن تلتفت إليها طبقا لما يتطلبه الموقف. ويبدوا هنالك ميل آخر يتجلى في مشهد التضحية وهو جمع الأشكال الأمامية المتساوية الارتفاع في صفوف مما يؤدي إلى إحداث أنماط متساوية بتكرار هذه العملية.

وبالإضافة إلى تأثير روما نفسها وهو واضح في الزنار الذي يحمل مشهد الحصار: هذا الزنار بنوعيته القصصية وبالنظرة الشاملة للموضوع تقترب من فن النحت الذي نراه في أعمدة تراجان وماركوس أوريليوس وفي قوس سبتيميوس الذي أقيم في نفس الفترة في الفورم الروماني بروما.

وبعد أن تتوجه من قوس سبتيميوس سيويرس إلى الشرق في الشارع الرئيسي فإن الأولى بك أن تسير مع أول منعطف على يدك اليسرى لتصل إلى موقع أجريت فيه دراسات أثرية شاملة هو الطرف الغربي من الباليسترا (Palaestra) (3). أي الملاعب. وقد كانت هذه عبارة عن فناء مستطيل مكشوف. جوانبه الأربعة مستقيمة وأركانه شبه دائرية ويحيط به ممر مستور من الأعمدة الكورنثية.

وبجوار الملاعب إلى الجنوب توجد حمامات هدريان (4) وكانت قد

افتتحت بين سنة 126 م. وسنة 127 م. ثم جرى ترميمها وتعديلها في عهد الامبراطور كمودس (Commodus) (180 – 193 م). وقد صممت حمامات هدريان هذه على نفس خطة الحمامات الكبرى في روما فأقيمت وفقا لمخطط متناسب متناسق بحيث تشغل غرفتها الرئيسية المحور المركزي بينما تقوم الغرف الثانوية على جانبي ذلك المحور. وتقع في الطرف الشمالي من البنايات المركزية النتاتيو (Natatio). (أ) أي بركة السباحة الكبيرة المكشوفة التي كان مدخلها في وسط الجدار المحيط بها من الشمال بينما كان يحف بها من الشمال والغرب والشرق ممر مستور ومعمد بأعمدة كورنثية وردية اللون. وتظهر في الجهة الجنوبية من الجدار نتوءات يرجع تاريخها إلى فترة لاحقة وربما كانت تمثل تعديلات أجريت في عهد كمودس. وفي هذا الجدار ذاته أربعة أبواب: اثنان في الوسط وواحد في كل من الطرفين وهي تفضي جميعاً إلى الممر المحيط بالفريجيداريوم (Frigidarium) (ب) التي يتمثل فيها، بالنسبة لفن النحت، أبرز مظهر للحمامات؛ لأنها كانت عبارة عن بهو فخم مبلط ومزنر بالرخام ومظلل بثلاثة سقوف متقاطعة من الاسمنت ترتكز أسسها على ثمانية من الأعمدة الكورنثية الضخمة.

وقد وجدت شظايا من قطعة رخام جرى تثبيتها على جدار البهو الجنوبي وهي تحمل نقشا يشير إلى ان ترميم الغرفة الباردة وأجزاء أخرى من الحمامات وتزيينها «بالرخام والأعمدة» قد تم على يدي روزونيانوس (Rosonianus) بموجب إذن من الإمبراطور خوله فيه التصرف في بعض مخصصات المصارعة. وبعد وفاة كمّودس، محي اسمه الذي كان في أصل هذا النقش وحفر مكانه اسم سبتيميوس سيويرس. وفي الطرفين الشرقي والغربي من البهو الرئيسي كانت تقوم أروقة مقوسة تفضي إلى مغاطس ماء بارد يعود تاريخ ما عثر عليه من زخارفها، بما في ذلك بعض الأعمدة الكورنثية، إلى أواخر القرن الميلادي الثاني. وفي وسط الجدار الجنوبي للغرفة الباردة باب يفضي إلى التيداريوم (Tepidarium) أي الغرفة الدافئة (ج)؛ وقد كانت في الأصل تحوي حماما واحدا فقط يقع في وسطها. أما الحمامان الآخران فقد أضيفا فيما بعد باقتطاع جزء من الممر الموجود في القسم الجنوبي من

الغرفــة الباردة. وعلى جانبي الحمام الواقع في منتصف الغرفة الدافئة ممران تســتره عنهما أزواج من الأعمــدة الكورنثية المصنوعة مــن الرخام الرمادي. ويؤدي هذان الممران إلى دهليز خلف الحمام كان يســخدم كمنظم حراري بين الغرفــة الدافئــة والكلداريوم (Caldarium) أي الغرفــة الحارة (د). وكانت هذه الأخيرة عبارة عن غرفة لها ســقف كأنه جانب اسـطوانة ويدخل إليها النور من نوافذ مقوســة. وقد وجدت في هذه الغرفة قطع من حجر كلســي اللون تشــير بقايا كتابة منقوشة عليه إلى ان هذا الحمام كرسه للامبراطور هدريان يوبيليوس سلر (Popilius Celer) مندوبا عن البروقنصل فاليريوس بســكوس (Valerius Piscus). وفي الطرفين الشرقي والغربي المتناسبة (هـ. هـ.) التي كانت تســمى لكونيكا (Laconica) والتي اســتخدمت في أواخر عهدها كحمامات هوائية حارة تحمى بواســطة هواء حار يدور تحت مصاطبهــا المرتفعة بلاط جدرانهــا. ويلاحظ هنا أن هذه الترتيبات ليســت أصليــة وانمــا جرى اســتحداثها في فترة لاحقــة. وكان في الجدار الشــمالي لــكل من غرفة الــ (لكونيكا) الخارجية مدخل يفضــي إلى صالة في الممر الجنوبي يســتطيع المستحم أن يرجع منه إلى الغرفة الباردة مباشرة. ولسنا نعــرف بالتأكيد الأغراض التي كانت الغرفة الأخرى تســتعمل من أجلها وإن كنا نفترض أن بعضها كان يســتخدم لتغييــر الملابس والبعض الآخر للقيام بالتماريــن الرياضية وربما للمكتبــة والمطالعة. والغرفتــان الوحيدتان اللتان يظهــر عرضهمــا واضحــا هما غرفتــا المراحيــض (و – و) اللتان تشــغلان الزاويتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية من البناء. وهذان المرحاضان كانا على النمط الروماني العادي فمقاعدها كانت من الرخام وكانت في كل منها قنــاة عميقة تحيط بثلاثــة جوانب من الغرفة وتســتخدم مياهها في كســح المرحاض. أما الجانب الرابع من الغرفة فكان يشــغله تجويف كالمحراب موجود ما بين المدخلين ومخصص ليوضع فيه احد التماثيل. وكانت المنطقة الوســطى من المرحاض الشرقي مكشــوفة لولا وجود حاجز ذي ثلاثة جوانب مكــون من عدد مــن الأعمدة الكورنثية. أما المرحــاض الغربي. وهو أصغر من المرحــاض ســابق الذكر. فقد كان يغطيه تماما ســقف قائم على أعمدة ذات

قواعد.

ولا تزال بقايا المواقد وغرف التســخين. التي كانت بها سخانات تستخدم لتســخين مياه الحمامات الحار والدافئ. ماثلة على طول امتداد الجدار الجنوبي (ز –ز). وعلــى مســافة قصيرة إلــى ما وراء البناية مــن الجنوب يوجد صف من الأحواض أكتشــف عنــده نقش يفيد ان رجلا من لبدة اســمه كوينتوس ســيفيليوس كانديــدوس (Quintus Servilius Candidus) «وجد الماء فاســتخرجه وجره إلى مســتوطنة لبدة (ربما بواســطة قنــاة مائية) على نفقته الخاصة» بين سنة 119 – 120 م.

وينتهي الطرف الشــرقي للملاعب بســاحة متعــددة الأضلاع مصممة كجــزء من برنامج البناء الســويري لتكــون محورا بين الشــارع الموجود على الجانب الشــرقي من حمامات هدريان وشــارع الأعمدة الجديــد الذي كان يمتد على محور ينحرف قليلا لكي يتجاوز الفورم الســويري. وفي الجهة الشمالية الشــرقية والجهة الجنوبية للســاحة المذكورة مدخلان مقوسان يفضيان إلى هذين الشــارعين. ولا تزال آثار قوســين ملتويين قائمين في الجهة الشــمالية الغربيــة ولكــن هذه المنطقــة أصابهــا كثير من التغيــر نظرا لمرور الســور البيزنطي بها. ويصل مدخلي هذين الشــارعين في الجهة الجنوبية الشــرقية مقر الحواري الســويري (5) وهو مكان رحب. شــبه دائــري وفيه صحن نافورة وتحيط به جدران عالية.

وعلى بضعة أمتار من الســاحة المذكورة وفــي الزاوية الواقعة بين الجدار الشــمالي الغربي لشــارع الأعمــدة الجديد والجــدار الجنوبي الغربــي للفورم السويري تظهر آثار كنيسة (6) ربما كانت واحدة من الكنائس الصغيرة الأربع التي شيدها جستنيان في لبدة. ويتبع بناء هذه الكنيسة خطة الباسيليكا من حيث التصميم فهو عبارة عن بهو مســتطيل ينقســم طولا إلى صحن ويمر عليه صفان من الأعمدة يتكون كل منهما من ستة أعمدة. بينما اقيمت المعمودية وجرنها المصلب في الزاوية الشمالية الشرقية من البناء.

شارع الأعمدة (7):

يصل حمامات هدريان بالمرفأ ويدور حول الفورم والباسيليكا السويرية، وقد كان الشريان الرئيسي للبدة السويرية. ويعتبر هذا الشارع العريض الذي كانت تحف به ممرات مستورة معمدة مثالا ممتازا للشوارع الرومانية التذكارية المتوافرة بكثرة في سوريا الرومانية. وكانت أعمدة ممراته تقوم على قواعد مربعة، ولها تيجان على شكل زهرة اللوتس أو زهرة الأكانثوس، تخرج منها أقواس صغيرة جميلة كانت ذات أثر بعيد في فن النحت الاسلامي وفن النحت الأوروبي فيما بعد.

فإذا سرت مع شارع الأعمدة هذا باتجاه المرفأ وجدت نفسك بعد مسافة الباب الأول والأوسط والأخير من تلك الأبواب عبارة عن مداخل للفورم السويري (8) الذي يشبه إلى حد كبير مثيلاته في روما في كونه عبارة عن ساحة مستطيلة (100 × 60 مترا مربعا) تحف بها ممرات مستورة معمدة ويشرف عليها معبد مرتفع يبرز من وسط طرفها الجنوبي الغربي. وتشبه أعمدة ممرات هذه الساحة تلك المستخدمة في شارع الأعمدة من حيث صنعها ونحتها وإن كانت قد أثبتت بين أقواسها بالتوالي رؤوس المدوزة والنيريد (Nereid)[97]، المصنوعة من الرخام.

ولسنا نعرف لمن كرس ذلك المعبد وإن كان من المحتمل انه كرس لأسرة سبتيميوس (Gens Septimia). وهو من الطراز الايطالي الذي يقوم على قاعدة مقوسة وأمام مقدمته درج ذو ثلاثة جوانب بينما يبرز الجزء الخلفي منه ليطل مباشرة على الجدار المحيط بالفورم. وكانت تحيط بمقدمة وجوانب صحن هذا المعبد أعمدة من الطراز الكورنثي بجذوع من الجرانيت الأحمر ثمانية منها في المقدمة وتسعة على الجوانب. وكانت أعمدة المقدمة الثمانية تقوم على قواعد رخامية مربعة حفرت عليها أشكال تمثل معركة دائرة بين الآلهة والعمالقة. أما صحن المعبد فكان مربعا ولا تزال قطع من بلاط مصطبته الرخامي الأخضر تشاهد حتى الآن.

97- النيريد في الأسطورة الإغريقية هي حورية البحر أو أبنة نيريوس «Nereus»، إله البحر.

أما الباسيليكا السويرية (9) فقد كانت عبارة عن قاعة كبيرة مستطيلة تنتهي عند كل من طرفيها بتجويف شبه دائري أقيم عليه نصف قبة. وكانت تقسم هذه الباسيليكا طوليا إلى صحن وممرات جانبيه أعمدة مقامة على شكل طابقين كما كانت تمتد فوق الممرات الجانبية صالات خشبية للصور ترتفع إلى مستوى تيجان الطابق الأول من الأعمدة. وليس هناك ما يدل على مخطط القسم العلوي من هذا البناء، ومن المحتمل ان الصحن كان أعلى من الممرات وكانت إنارته تتم بواسطة صف خاص من النوافذ. ومهما كان شكل هذا القسم العلوي من البناء فلا بد أن الصحن والممرات كانت مسقوفة بالخشب.

وكانت أرض الباسيليكا مبلطة بالرخام كما أن جدرانها كانت مكسوة به إلى مستوى ارتفاع صالات الصور على الأقل. وكانت أعمدة الممرات من الطراز الكورنثي بجذوع من الجرانيت المصري الاحمر. وقد أفادت نقوش على بعض تلك الأعمدة انه بدىء بهذا البناء في أيام سبتيميوس سيويرس وفرغ منه في أيام كراكلا سنة 216 م. وكانت الفجوات فيما بين الأعمدة تزين باقامة التماثيل فيها وعندما حول جستنيان هذه الباسيليكا إلى كنيسة أقيم المذبح في الركن الجنوبي الشرقي منها وهو الركن الذي وسعت مصطبته المرتفعة بمدها إلى الامام. وقد أحيط المذبح بست قواعد أعمدة وبقطع أعمدة مأخوذة من قوس سبتيميوس سيويرس كما أقيم له منبر بنفس الطريقة في صحن الكنيسة.

وهنالك أبواب مقوسة في نهاية الممرات الجانبية تفضي إلى غرف أربعة تطل على نهاية جدران الباسيليكا: منها غرفتان قائمتان في الشمال الغربي وهما مربعتان، والغرفتان الأخريان تقومان في الجنوب الشرقي وتبدوان غير منتظمتي الشكل. وقد كانت هذه الغرف الأربعة في حالتها الأصلية مبلطة ومزنرة بالرخام وكانت لها سقوف خشبية يرتكز الواحد منها على أربعة أعمدة قائمة في الزوايا الأربع على قواعد مربعة، ومزينة بتيجان على شكل زهور اللوتس والأكانثوس. وفي القرن الميلادي السادس جدد البيزنطيون سقوف الغرف الجنوبية، والشرقية، والغربية بعقود من الحجر الرملي،

واسـتعملوا الحجرة الغربية كغرفة تعميد بعد أن حفروا جرن معمودية في مصطبتها.

وإلى الجانب الشـمالي الشـرقي من الباسـيليكا ممر تذكاري يربط شارع الأعمدة بالقسـم القديم من المدينة في الشـمال الغربـي. ويتميز هذا الممر فـي كلا طرفيه بقوس كما يقوم على طول جهته الجنوبية الغربية صف من الأعمدة القائمة على قواعد مربعة أمام جدار الباسيليكا.

المرفأ (10):

كان مرفـأ لبدة في الأصل عبارة عن مصـب واديها الذي كانت تحميه من الجهة الشـمالية والشرقية حواجز خارجية. وبعد ذلك حولت ضفاف المصب إلـى أرصفة ميناء. وخلال العهد السـويري وصل بين حواجـز المرفأ الخارجية ببناء حجري لحماية المرفأ من جهة البحر في الشـمال والشـرق. وهكذا كان هذا المرفأ عبارة عن شكل متعدد الأضلاع وغير منتظم يبلغ محيطه حوالي ثلاثة أرباع الميل وله ثغر ضيق في القسم الشمالي الشرقي منه يحميه ذراع بارز من جهة الشـمال. وحوض المرفأ ذاته مملوء الآن بالرمال كما ان أرصفته لا تكاد تبدو للعين الا في جزئه الشرقي.

المنارة (11):

تقـوم علـى رصيف حجري، وهي عبارة عن بـرج ذي أربعة أوجه، ولا بد أنه كان مكونا من عدة طبقات وفقا لما كان معروفا من هندسة المنارات القديمة. وكان بناء هذه المنارة يضيق شيئا فشيئا باتجاه رأسها حتى ينتهي إلى القمة التـي كانـت قاعدة لمصباح الانارة. ومن المؤسـف أنه لم يبق مـن هذه المنارة إلى الآن سـوى أساس برجها وزاويته الجنوبية الغربية. ولقد كان مدخلها في وسـط جدارها الغربي الذي قد انهار منه ما يقارب نصفه. ويمكن مشـاهدة كتلة كبيرة من الاسـمنت في البحر غير بعيد عـن مكان المنارة يعتقد أنها كانت جزءا من القسم العلوي للبرج.

وفي القسـم الشـرقي من المرفأ كان رصيف ترسـو إلى جانبه السـفن

وتشـد إلى مرابط مثبته في جداره الخلفي. وكانـت تطل على هذا الرصيف المستودعات وأبنية المرفأ الاخرى التي كان بينها معبد دوري صغير (12) حوّل فيما بعد إلى كنيسة. وإلى الجنوب من هذا المعبد كان صف من المستودعات خلف ممر معمد مسـتور. وبالامكان مشاهدة آثار السور البيزنطي الذي أقيم في وقت لاحق بحجارة من الآثار السـابقة حول هذا الجزء الشـرقي من المرفأ. أما الجزء الجنوبي من المرفأ فان الدراسـات الحفرية لم تسـتكمل بالنسبة له وإن كان يتميـز بمعبد كبير (13) لم يكتشـف منه حتى الآن سـوى درجاته الامامية ومصطبته.

الكوريا (Cnria) أو المجلس البلدي (14):

يقوم هذا البناء في سـاحة مربعة سـويت أرضها ورفعت. وكان مدخله مـن الجهة الجنوبية الغربيـة حيث يوجد درج عريض، كمـا كان يحيط به ممر مسـتور من أعمدة الحجارة الرملية. ولقد كان هذا البناء مربعا كبناء المعابد وامامـه درج ومصطبة بها سـتة أعمدة كورنتية: أربعـة منها في المقدمة واثنـان خلفيان يقوم كل واحـد منهما خلف عمود الزاويـة الأمامي. وكانت هنالـك ثلاث أبواب تفضي إلـى قاعة المجلس التي لا تزال تشـاهد فيها بقايا الـدرج المنخفض العريض حيث كانت توضع مقاعـد القضاة. أما تاريخ هذا البناء فربما كان القرن الميلادي الثاني.

الفورم القديم (15):

يقع الفورم القديم غربي الكوريا مباشرة وقد كان مركزا للحياة الشعبية في المدينة، وكان عبارة عن سـاحة مكشـوفة ذات أربعة أضلاع قائمة الزوايا مـن الجهة الجنوبية والغربية ولكن جانبها الشـمالي الشـرقي كان ينحرف حتى يكون زاوية حادة في نهايته الشـمالية. وتبـدو، في الوضع الحالي لهذا الفورم، آثار رصيف في ركنه الشمالي يرجع إلى عهد الامبراطور أوغسطس. وكانـت تحيط بهذا البناء معابد المدينة الرئيسـية ومبانيهـا العامة. وتقوم إلى جانبه الجنوبي الشـرقي الباسيليكا القديمة (16) التي كانت تستخدم كمحكمة وكبورصة، وهي عبارة عن قاعة مسـتطيلة لها مدخلان رئيسيان

في جهتها الشمالية الشرقية ومداخل فرعية في وسط ضلعيها الطويلين، وكانت أرضها مبلطة بالرخام. أما أعمدتها الأصلية فكانت من حجر الكلس ولكن أعمدة الجرانيت الرومانية التي أعيد نصب اثنين منها مؤخرا ترجع إلى عهد الامبراطور قسطنطين الكبير. وكان بنائها الأصلي الذي أقيم قبل سنة 53 م. قد اصيب بأضرار بالغة بسبب صاعقة أصابته في أواخر القرن الميلادي الثالث ولكنه أعيد بناؤه إلى ما كان عليه في عهد جستنيان. وفي الطرف الجنوبي للواجهة الجنوبية الغربية من الفورم، تقوم آثار معبد صغير للإلهة سيبيل (Cybele) أو الأم الكبرى في ساحة خلف ممر الفورم (2). وبعد هذا المعبد، وعلى الجانب الآخر من شارع الكاردو تقوم كنيسة الفورم القديمة القائمة على أنقاض معبد تراجان. وهي في خطتها أشبه بالباسيليكا إذ إنها مقسومة إلى صحن وممرات بواسطة صفين مستطيلين من الأعمدة، كما أنها لها خمسة أبواب.

وتقع خارج هذه الكنيسة مباشرة مقبرة مسيحية صغيرة لا تزال بعض نصب قبورها ماثلة وعليها أسماء من دفنوا فيها ومعظمهم من الاطفال.

وفي الزاوية الغربية من الفورم ممر مستور ذو ثلاثة جوانب (د) وهو مبلط بالرخام ويرجع تاريخه إلى منتصف القرن الميلادي الثاني. وكانت تقوم في الطرف الشمالي الغربي للفورم ثلاثة معابد الواحد منها إلى جانب الآخر. وأقصاها إلى الجنوب هو معبد ليبر باتر (18) (Liber Pater) وهو أقدم الثلاثة وربما كان يرجع إلى عهد الامبراطور أوغسطس. وقد بني في الأصل بالحجر الكلسي ولكن ما بقي قائما من آثاره يدل على أنه اعيد بنائه بالرخام في منتصف القرن الميلادي الثاني. وقد وصل هذا المعبد في وقت لاحق بمعبد روما – أوغسطس المجاور بواسطة جسر قائم على اقواس حجرية فوق الممر الفاصل بين المعبدين.

معبد روما – أوغسطس (19).

كرس هذا المعبد بين سنة 14 م. وسنة 19 م. وكما هي الحال بالنسبة لمعبد ليبر باتر فان معبد روما – أوغسطس بني في الأصل بالحجارة الكلسية

ولكنه زين بالرخام عندما جدد بناؤه في القرن الميلادي الثاني. وهو يقوم على مرتفع مستطيل ينخفض قليلا من الامام بحيث يسمح بتكوين روسترم (Rostrum) أي منبر للخطابة يطل على الفورم ويتم الدخول إليه بوساطة سلمين صغيرين من الدرج مخفيين في تجويف في جانبيه بينما كان في مؤخرة المنبر سلم قصير ذو درج عريض يفضي إلى مصطبة المعابد. وخطة هذا المعبد هي نفسها التي تظهر في معبد فينوس القيصري في فورم يوليس قيس بروما مما يدل على أن هذا المعبد الأخير هو الذي أوحى لمهندسي معبد روما – أوغسطس في لبدة بخطتهم. ويمر السور البيزنطي بالقسم الخلفي من هذا المعبد شاملا ركنه الشمالي وسائرا في خط مائل إلى نقطة متوسطة في ركنه الغربي. وكانت أعمدة هذا المعبد الإيونية في الأصل من حجر الكلس ولكن الأعمدة الرخامية أدخلت عليه في القرن الميلادي الثاني. وكانت في هذا المعبد تماثيل للإلهة روما ولأوغسطس وتيبريوس وليفيا (Livia) وآخرين من أعضاء الأسرة البولبو – كلودية. وقد وجدت بقايا من تلك التماثيل قريبة من المعبد وهي الآن في متحف السرايا الحمراء بطرابلس. وكان هنالك جسر آخر يصل هذا المعبد بمعبد صغير إلى الشمال منه (هـ).

البوابة البيزنطية (20):

هي أصلح بوابة باقية تؤدي إلى المدينة البيزنطية ويقوم على جانبها برجان مربعان يبرزان من وجه الجدار الخارجي. وكانت هذه البوابة قد شيدت بحجارة مأخوذة من الأبنية السابقة وعلى بعضها نقوش تدل على أصلها من مثل تلك التي تشير إلى نصب كان قد كرس للإمبراطور فسبسيان.

وإذا واصلت سيرك من البوابة البيزنطية في شارع الكاردو، فانك ستجد نفسك بعد قليل عند السوق (21) الواقع على يمينك. وكان أحد اثرياء لبدة واسمه انوبال روفس (Annobal Rufus) قد أقام سوقها الأصلي بين السنة الثامنة والسنة التاسعة قبل الميلاد، ولكن تعديلات كثيرة أدخلت عليه فيما بعد. وكان هذا السوق في الأصل عبارة عن ساحة مستطيلة تحيط بها

الممرات المستورة المعمدة من جوانبها الأربعة، وبها كشكان اثنان فقط. أما مدخلها الرئيسي فكان في منتصف ضلعها الجنوبي الغربي الطويل. وفي الفترة السويرية فتحت لهذا السوق بوابة رئيسية جديدة في طرفه الجنوبي الشرقي. ولا يزال عدد من مناضد السوق الحجرية موجودا حتى الآن، وقد حفرت على بعضها أسماء وعلى البعض الآخر أسماك وعلى واحدة منها المقاييس. ومن وراء الممر المستور في الزاوية الجنوبية الشرقية صف جميل من المناضد الرخامية. وإلى جانب الكشك المبني من الحجارة الكلسية توجد قاعدة تمثال على شكل قوس مصلب مزينة بمراكب تجارية محفورة حفرا بارزا، وعليها نقش يرجع إلى القرن الميلادي الرابع، ولكنك اذا دققت النظر اكتشف أنه حل محل نقش أقدم منه. ويخلد هذا النقش ذكرى تكوين مجموعة عربات سباق تكريما لشخص يدعى بورفيريوس (Porfyrius) بمناسبة تقديمه أربعة من الفيلة الحية هدية للمدينة.

واذا أنت غادرت السوق إلى الشارع المحوري، الكاردو، فانك ستصل مباشرة إلى قوس تيبيريوس (22) الذي يشرف على الركن الجنوبي من موقع السوق، وهو قوس بسيط من الحجر الكلسي خال من كل زخرف باستثناء كرنيش بسيط. وعلى هذا القوس نقش يفيد ان القوس اقيم تخليدا لعملية رصف جميع شوارع المدينة في عهد البروقنصل روبليوس بلاندوس (Rubellius Blandus) 35-36 م، وأن جميع نفقاته غطيت من الدخل الناجم عن أراض معينة كان البروقنصل نفسه قد استعادها من الجرامنتيين الذين استولوا عليها أثناء ثورة تكفاريناس (Tacfarinas). وقد وجدت آثار قوس آخر عليه هذا النقش نفسه في الشارع الذي يأتي مباشرة بعد الممر المستور المعمد والكائن خلف المسرح. ولا شك أن هذين القوسين كانا حدودا للمنطقة التي رصفت مجددا من المدينة.

قوس تراجان (23):

يقوم إلى الجنوب من قوس تيبيريوس وعلى امتداد الكاردو وهو من أحدث

أبنية المدينة وأبدعها، وقد بني كله من الحجر الكلسي على نقطة تقاطع طرق؛ ولذلك فهو دو أربعة أوجه. وقد كرس البروقنصل بمبونيوس روفس (Pomponius Rufus) (109 – 110 م.) تخليدا لرفع الامبراطور تراجان مدينة لبدة إلى مستوى مستوطنة رومانية.

ويتصل قوس تراجان بالركن الشمالي الشرقي للكالسيديكم «Chalcidicum» (24) وهو عبارة عن ممر طويل مستور ومعمد وخلفه ساحة مستطيلة مكوفة تحيط بها الممرات المستورة المعمدة، وربما كانت هذه الساحة سوقا آخر. وكان بناء هذا الممر قد تم بالحجز الكلسي بين سنة 11 م. وسنة 12 م. ثم زين فيما بعد بالرخام، والأعمدة الباقية من أعمدته ذات تيجان كورنثية يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الميلادي الثاني أو أوائل الثالث. ولكن جزءا من حجارته الكلسية الأصلية ظل موجودا حتى الآن وعليه ثلاثة نقوش يشير النقش الأوسط منها إلى ان الكالسيديكم كان قد كرس للامبراطور أوغسطس.

المسرح (25):

إن لبدة مدينة باقامة هذا المسرح للشخص ذاته الذي أقام السوق وهو أنو بال روفس وكان تشييده في السنتين الأولى والثانية للميلاد؛ وهو يتكون من قاعة استماع شبه دائرية تتصل بحلبة المسرح وفيها مداخل ذات أقواس في مستوى الأرض يؤدي بعضها إلى ممرات وأدراج تفضي إلى المقاعد الحجرية وإلى الدهاليز الجانبية المسقوفة التي ربما كانت تستخدم كمخازن للأدوات المسرحية ويوجد في كل من نهايتي شبه الدائرة، وبعد بناء حلبة المسرح، مدخل يؤدي خلال ممر مسقوف إلى مركز الأوركسترا. وتحيط بالأوركسترا شبه الدائرية أدراج منخفضة كانت توضع عليها الكراسي للشخصيات الممتازة من المتفرجين. وكانت الصفوف الدنيا من مقاعد قاعة الاستماع تقوم على منحدر طبيعي بينما تقوم الصفوف الوسطة منها على مرتكز صناعي من التراب والحجارة، والصفوف العليا على مرتكز ضخم من الاسمنت والبناء الحجري وتنقسم المقاعد أفقيا إلى ثلاثة قطاعات بواسطة

ممرين بينما تنقسم عموديا بواسطة سلالم من الدرج إلى عدة قطاعات كل منها على شكل اسفين. وكان على جانبي حلبة المسرح مدخل يوصل إلى غرف تغيير الملابس. وما زالت تشاهد تحت أرض الحلبة التي بنيت على موقع مقبرة فينيقية قديمة، آثار خندق كانت تنزل فيه الستارة عند بدء العمل على المسرح.

واذا تابعت سيرك على الشارع الممتد إلى الجنوب الغربي من الجهة الغربية للمسرح وموازاة الكاردو الرئيسي فانك ستصل إلى الدكيومانوس الرئيسي الذي توجد عبره وعلى مسافة مائتي ياردة إلى الغرب منه البوابة الغربية (26). وقد كانت هذه البوابة في الأصل قوسا تذكاريا يرجع تاريخه إلى النصف الأول من القرن الميلادي الثاني، ثم حولت فيما بعد إلى بوابة محصنة للسور الروماني الجديد.

من هذه البوابة يمكنك أن تعود باتجاه الدكيامانوس إلى قوس سبتيميوس سيويرس ومنه إلى الخارج أو أن تواصل سيرك إلى حمامات الصيد.

وحمامات الصيد هذه تقوم على منتصف المسافة بين السور الروماني الجديد ووادي رصيف (Rsef) على بعد حوالي مائة ياردة من البحر. وربما كان تاريخ بنائها الأصلي يرجع إلى نهاية القرن الميلادي الثاني ولكنه غير ووسع فيما بعد. وعندما تم اكتشافها كانت في حالة في غاية القابلية للاصلاح، وهي نموذج صغير كامل على كيفية استعمال الاسمنت الروماني في العقد الذي تميزت به أبنية روما. وبناء هذه الحمامات، وشأنه شأن القصور والحمامات الرومانية، تتحكم في هندسته ومظهره الحاجة إلى المساحة الداخلية التي استوجبت أن يكون شكله الخارجي محدودا من ناحية وغير كلاسيكي من الناحية الأخرى. وبغض النظر عن الأجزاء الخارجية التي أضيفت للحمامات في تاريخ متأخر (وهي الآن دون سقوف)، فان المدخل إلى البناية الرئيسية يتم من ممر مسقوف في الركن الشمالي الشرقي يؤدي إلى الفريجيداريوم أو الحمام البارد الذي كان به بركتان واحدة في كل طرف. أما الحمام المصلب السقف والمفتوح من جانبه الشمالي فإنه لم يكن واردا في الخطة الأصلية وانما حل فيما بعد محل غرفتين صغيرتين متجاورتين وموازيتين لممر المدخل.

وتظهر في فسيفساء البركة الشرقية بقايا خطوط رسم حورية ترضع جديا، ورأس وأكتاف إلهة بحر ومنظر من النيل يظهر فيه أحد التماسيح. وفي رسومات الطلاء المتأخرة تظهر مشاهد مصورة فنحن نرى على الجدار الجنوبي للفريجيداريوم مشهدا في حالة جيدة يصور صيد الفهد. ونرى على جدارها الشمالي مشهدا في حالة رديئة يصور صيد الأسد. وإلى جنوب الفريجيداريوم غرفتان مثمنتا الأضلاع وتعلو كلا منهما قبة مثمنة كذلك. وكانت الغرفتان الجنوبيتان تحويان الحمامين الحارين بينما كان الحمامان الدافئان في الغرفتين المثمنتين وكانت أرضهما فقط هي التي تحمى. أما تحويل الغرفة المثمنة الشرقية إلى حمام حار ثالث باضافة شبكة حرارية تحوى جدرانه وأرضه بواسطتها فهو اجراء جاء متأخرا ومرافقا للتغيير الذي طرأ على الشبكة الحرارية الداخلية في الوقت الذي أضيف فيه حمام بارد ووحدة من الحمامات الساخنة كانت عبارة عن دهليز تحمي مصطبته وحجرتان تحمي أرضهما وجدرانهما.

وفي تاريخ لاحق أضيفت بنايات متعددة ذات سقوف خشبية على الجانبين الشمالي والشرقي من البناء الرئيسي، وأقيم ممر مستور معمد على طول مقدمة البناية من جهة الشمال في مواجهة الشارع. وكان لهذا الممر مدخلان أمام كل منهما سلم قصير من الدرج. وكان المدخل الشرقي ينفتح على النهاية الشمالية لبهو مستطيل زينت جدرانه بزنانير من الطلاء المصور تظهر عليها جلود الحيوانات وصور الصيادين. وربما كان هذا البهو مقرا لنقابة الصيادين وهو غالبا الذي أدى إلى تسمية هذه الحمامات بحمامات الصيد. وكان المدخل الغربي ينفتح على الجانب الشمالي لبهو مستطيل طويل يتوسطه صف من الأعمدة والمقاعد المثبتة على طول جدرانه وبين أعمدته. وبالرغم من أنه هذه المقاعد اضيفت في وقت لاحق إلا انها تدل على ان هذا البهو كان يستعمل كقاعة لتغيير الملابس.

وفي الجهة الجنوبية من الحمامات غرفتا نار في حالة جيدة وأربعة أحواض ماء كبار.

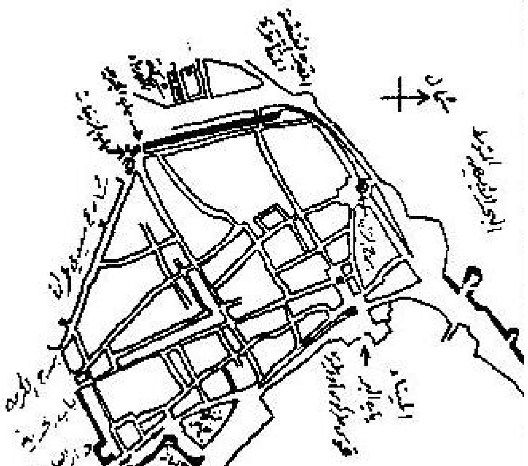
أما السيرك أو ميدان السباق فإنه يقع على بعد نصف ميل إلى الشرق من المرفأ، قريبا من البحر. ويمكن الوصول إليه باتباع الطريق الذي يتفرع من طريق الخمس – مصراته إلى الشرق من جسر وادي لبدة مباشرة ويدور حول الجهة الجنوبية من المرفأ. ويرجع تاريخ هذا الميدان إلى آخر القرن الميلادي الثاني على وجه التقريب. وتبلغ أبعاده حوالي (450 مترا × 100 متر) وهو بذلك أكبر الميادين القديمة المعروفة. وفي طرفه الجنوبي الغربي المستقيم كان يقوم صندوقا إشارة البدء بالسباق (Starting Boxes). هما وإن كان لم يبق منهما الآن أي أثر فإن فتحتيهما المقوستين كانتا لا تزال قائمتين في القرن السابق عشر الميلادي عندما شاهدهما الرحالة الفرنسي ديران (Durand). وكان هنالك مدخل مقوس كبير في نهاية الطرف الشمالي شبه الدائري شاهد ديران بقاياه كذلك. أما بقية الميدان فقد كان محاطا بمقاعد حجرية تقوم الجنوبية منها على منحدر طبيعي بينما تقوم الشمالية على بناء من الاسمنت والحجارة. أما خط المضمار الذي كان يسمى يوريبوس سبينا (Euripus Spina) فكان يتحدد بصف من خمسة أحواض مائية مستطيلة طويلة تقوم على قواعد مصبوبة. وبمعبد صغير كان مقاما بين الحوضين الثاني والثالث من الجنوب الغربي. وهذا النوع من خط المضمار معروف في الآداب والكتابات القديمة. ولكن النموذج المادي الحقيقي الوحيد منه. والذي تم اكتشافه حتى الآن. هو هذا الخط الموجود في ميدان لبدة. وكانت جوانب المضمار تزين ببناء ثابت. اكتشفت آثاره. وكان ينتهي من كلا طرفيه ببناء شبه دائري يسمى ميتا (Meta) أي نقطة الدوران وعليه أبراج ثلاثة يتوج رأس كل منها كوز صنوبر.

وإلى جنوب الميدان يقع المسرح المدرج (Amphitheatre). وإلى الجنوب الغربي من المسرح المدرج وفي المنطقة الواقعة بينه وبين طريق الخمس – مصراته توجد بقايا قبور مشهورة متعددة أصلحها حالا القبر المسمى «قصر شداد».

وعلى الضفة اليمنى لوادي لبدة وإلى الجنوب من طريق الخمس – مصراته يقوم خزانان كبيران للماء في حالة جيدة. ويبعد الأول منهما

حوالي (150) ياردة عن الطريق بينما يبعد الثاني ضعف تلك المسافة. وهما مبنيان بالحجارة الكلسية والاسمنت. والشمالي منهما هو الكبير وفي داخله خمسة أحواض متجاورة ومسقوفة بينما نجد في الجنوبي ثلاثة أحواض فقط لكل منها باب كان عمال الصيانة والتنظيف يدخلون منه للقيام بأعمالهم. وقد أستخدم الباب الشمالي من الأبواب الثلاثة ليكون نهاية لفتحة قناة أقيمت في وقت لاحق لتتصل بين الخزانين. وكان سطحا الخزانين يستخدمان مياه المطر بينما مدت من الخزانين قناتان من الاسمنت أمكن تتبع آثارهما مع مجرى الوادي إلى الشمال حتى مجموعة الأحواض الموجودة إلى جنوب حمامات هدريان في لبدة.

وعلى مسافة حوالي ربع ميل من الخزان الجنوبي صعودا مع الوادي تقوم آثار السد الذي شيده الرومان لتحويل مياه وادي لبدة إلى الغرب حتى تصب في وادي رصيف وذلك لحماية مرفأ لبدة من الطمي الذي يحمله إليه واديها، ولحماية منطقة حمامات هدريان والفورم السويري من فيضانات ذلك الوادي. وهذا السد هو عبارة عن بناء ضخم من الاسمنت وتبدو عليه علامات الترميم في مناسبات مختلفة. وإلى الغرب قليلا من السد وعلى إمتداد قناة التحويل المذكورة لا يزال المرء يشاهد الجسر الذي كانت تعبر عليه الطريق الرئيسية من لبدة إلى الداخل. ويذكر أن المناطق الدنيا من وادي كعام (نهر كنبس القديم Cynips) وعلى بعد حوالي اثني عشر ميلا إلى الشرق من لبدة تزخر بآثار الأعمال المائية الهامة التي كانت موصولة بلبدة؛ فهنالك إلى الشمال من النقطة التي تعبر عنها طريق الخمس – مصراته هذا الوادي بركة محفورة في الصخر يغذيها جدول موسمي جوفي تخرج مياهها عندها إلى سطح الأرض. واذا توغلت إلى الداخل مع مجرى الوادي وجدت آثار سدود ضخمة من الاسمنت. وقد ذكر استرابو جسرا فينيقيا أو سدا على نهر كنبس. ولكن الآثار الباقية حتى الآن لا يوجد بينها ما يرجع إلى قبل العصر الروماني. وليس بالإمكان تبيين الكيفية التي كانت شبه السدود الرومانية تعمل بموجبها إلا إذا أجري مسح مفصل لهذه المنطقة من مجرى الوادي. وإن كان يبدو أنها كانت بمثابة خزان هائل تنقل منه المياه



مخطط رقم (٥)
طرابلس القديمة
الآثار الرومانية رسمت بخطوط عريضة

بواسـطة قنوات جوفية إلى لبدة. ولقد كانت تلك القنوات تخترق الوادي في خطـوط مائلة ولا تزال بعـض بقاياها ماثلة على جانبيـه وإن كانت أجزاؤها الموجـودة على الجانب الأيسـر أصلح حـالا من الاجزاء الأخرى. وقد أكتشـف تقريبـا كل خط هذه القنوات بـين وادي كعام ولبدة الا أن مصبها في لبدة لا تزال غير معروفة حتى الآن.

فيعات = أويا = طرابلس:

يختلـف موقع أيا عن موقعي لبدة وصبراته في انـه كان ولا يزال ماهولا باسـتمرار منذ القدم. واذا استثنينا قوس ماركوس أوريليوس فان كل عمران أويا القديم قد اختفى تحت عمران القرون الوسطى والعصرين الحديث والمعاصر. وبناء على ذلك فان اعمال التنقيب لم تكن واردة. ولكن وجدت آثار قليلة هنا وهنـاك أثناء عمليات هدم وتجديـد الأبنية. وربما أمكننـا كذلك التوصل إلى بعض النتائج من دراسة مخطط المدينة عن فترة لاحقة.

إن أويـا الفينيقيـة لم تكتشـف أي أثر من آثارها وربمـا كانت قد أقيمت في القطاع الشمالي الشـرقي من المدينة القديمة الحالية. أما أويا الرومانية فإن شـوارعها الطويلة المتعامدة ما زالت تنعكس في شوارع المدينة القديمة إلى يومنا هذا؛ فهنالك الكاردو (الشـارع المحوري) والديكومانوس أو الشـارع الرئيسـي الممتد باتجاه الشمال. ولعل هذين الشارعين يتمثلان في الشارعين الطويلين اللذين يلتقيان عند قوس ماركوس أوريليوس. باب الحرية من الجنوب الشـرقي وشارع الكبيرة من الجنوب الغربي. ونستطيع القول ان ديكومانوس آخـر أقرب فـي اتجاهه إلى الجنوب ما يزال خطه ملموسـا فـي شـارع حومة غريان. وقد أكتشفت آثار أبنية رومانية في مواقع متفرقة من المدينة القديمة وضواحيها القريبة: بيوت بمصاطب من الفسيفساء. زخارف بالدهان بين باب الجديد والبحر؛ بناء ربما كان منزلا خاصا. على البحر إلى الشـمال الغربي من القلعـة. وأواني فخارية تحت بناية شـركة الكهرباء. وقـد أظهرت الحفريات التي أجريت تحت القلعة وجود أساس معقد لبناء واسع وأرصفة من الحجارة الرملية وقطع من الفسيفساء وأعمدة كورنثية كبيرة. وربما كانت هذه كلها مخلفات بنايات عمومية كبيرة كوحدة حمامات مثلاً.

والمساحة التي كانت أويا الرومانية تشغلها في ذروة توسيعها غير معروفة بشكل قاطع. ويعتقد خط السور الإسلامي إنما قام على خط السور الروماني من باب الجديد إلى برج الكرمة بموازاة خط شارع سيدي عمران الحالي ومن ثم يتجه إلى الشمال الشرقي حتى دار البارود.

أما قوس ماركوس أوريليوس فيقوم في ساحة تواجه باب البحر والمرفأ قرب نهاية المدينة القديمة من الجهة الشمالية. وقد شيد على نفقة قاض من أبناء المدينة اسمه كايوس كلبورنيوس سلسوس (Caius Calpurnius Celsus) كرسه للامبراطورين ماركوس أوريليوس ولوسيوس فيروس (Lucius Verus) سنة 163 م. ويفيد الاهداء المنقوش على هذا القوس أنه أقيم على أرض عمومية. وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا القوس كان ملتقى الشارعين الرئيسيين في المدينة. ولذلك فقد كانت له أربعة جهات ومدخلان مقوسان يتقاطعان مكونين زوايا قائمة. ويدل طول الواجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية على ان مدخل هذا القوس من ناحية المرفأ كان يعتبر أهم من المدخل الآخر. وقد بني هذا القوس بأكمله من الرخام وهذه حقيقة حرص نقش الاهداء على ذكرها. ويكاد يكون من المؤكد أن بناته كانوا من البنائين الإغريق.

ويزداد الوجهان الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي لهذا القوس بنقوش منحوتة كما أن كلا منهما كان يزداد بعمودين كورنثيين يقومان على قاعدتين بارزتين طويلتين. وكانت فجوات ما بين الأعمدة مزينة بتماثيل للأباطرة فقد وجد تمثال لوسيوس فيروس أمام الوجه الجنوبي الغربي. وكانت تظهر على القوس صور محفورة تمثل كيوبيد إله الحب. حاملا إكليلا كما تمثل إلهة النصر المجنحة وقد نقشات تحت صورها الصفات الحسنى للإله أبولو والإلهة منيرفا. وهما الإلهان اللذان يحرسان مدينة أويا. كما يظهر قائم أبولو الثلاثي وغرابه على الشمال وخوذة الالهة وترسلها وحربتها وبومتها على اليمين.

ويتشابه الوجهان الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي تشابها كبيرا وتظهر عليهما صور محفورة لأسر بربرية مأسورة تتجمع حول كومات من الأسلحة التذكارية التي أخذت من البربر بعد هزيمتهم. وتظهر على اليسار

صورة أبولو يسوق عربة يجرها زوج من أفراس الملائكة المجنحة (Griffins). ويظهر تحت هذه الصور غراب الإله وقوسه وحقيبته وغصن الغار. وتقابل أبولو في الجهة اليمنى الالهة منيرفا في عربة يجرها اثنان من أبي الهول المجنح. وعلى الأرض تحت هذه الصورة تظهر خوذة الالهة وقد حطت عليها بومتها وإلى جانبها الحربة والترس وغصن زيتون.

وتغطي القوس كله قبة مثمنة مكونة من ثلاث حلقات وغالق ذي ثمانية ضلوع.

وفي قرقارش[98]، إحدى ضواحي طرابلس من جهة الغرب. قبر على الجهة السادسة. وهو مغلق دائما ولا يفتح الا للزائرين الذين يحصلون على إذن خاص من دائرة الآثار بطرابلس. ويرجع تاريخ هذا القبر إلى القرن الميلادي الرابع وهو محفور في صخر رملي ناعم ما زال يستخدم لقطع الحجارة في الجهات المجاورة. ومدخل القبر في هذا الصخر الرملي هو عبارة عن ممر ضيق ينحدر إلى غرفة أشبه بمستطيل غير منتظم أقيمت في محجر غير مستعمل كان أعمق من أرض القبر الحالية بخمسة أمتار وكان يظللها. وعندما حول هذا المحجر إلى مدفن افرغ فيه التراب إلى ارتفاع المصطبة الحالية وأقيم له سقف لم يبقى له اثر الآن مما دعا إلى اقامة السقف الحالي الجديد وإلى بناء دعائم من الطوب تسند الجانب الصخري من السقف.

وإذا ما استعرضنا داخل غرف هذا المدفن فإنا نجد في جدارها الشمالي فتحتين بني داخل كل منهما لحد. وأهم اللحدين هو الذي يقع مقابل المدخل وهو لحد ايليا أريسوث (Aelia Arisuth) التي يظهر اسمها منقوشا على الجدار فوق هذا اللحد على قطعة دائرية مدهونة يرفها حارسان عبارة عن روحين مجنحتين. وعلى الوجه الداخلي لفتحة هذا اللحد تظهر صورة أخاذة لأريسوث يحيط بها إكليل زهر غني بالزخارف وترفعه وصيفتان صغيرتان. وتذكر ملامح وجه أريسوث الصارمة من ينظر اليها بصورة المومياء المصرية

98- سميت قرقارش بهذا الاسم نسبة لقراقوش، أحد مماليك المظفر تقي الدين ابن أخي صلاح الدين الأيوبي . وكان قراقوش قد هرب بقسم من جيش تقي الدين المتوجه إلى برقة، وراح يقوم بمغامرات وأعمال قرصنة في ليبيا وتونس تمكن خلالها من الاستيلاء على طرابلس مرتين: الأولى سنة 571 هـ. والثانية سنة 586 هـ.

في ذلك الزمن. وعلى كلا جانبي فتحة اللحد تظهر صورة روح حارسة وهي متكئة على مشعلة منكسة رمزا للحياة التي انتهت. ونلاحظ على السقف صورة طاووس وكرمة قد حط عليها عدد من الطيور، وما ذلك كله الا رمزا للعبث والحياة الأخرى. وعندما اكتشف هذا المدفن في أوئل القرن الحالي كان غطاء اللحد الملبس بالقصارة لا يزال في حالة جيدة وقد رسمت عليه بالدهان صورة لبوة كتب تحتها باللاتينية (Qua Lea Jacet) (= هنا ترقد لبوة). ومن المعروف أن كلمة «أسد» كانت احدى درجات الدخول في اسرار إله النور الفارسي مثراس (Mithras) الذي انتشرت عبادته في أرجاء الامبراطورية الرومانية. وقد كان الرأي السائد قبل اكتشاف مدفن قرقارش هذا هو أن النسوة كن مستثنيات من الدخول في أسرار الاله مثراس ولكن إعطاء لقب «لبوة» لأريسوث لا يمكن أن يعني الا أنها كانت قد بدأت تدخل تلك الأسرار. وفي النهاية الغربية لغطاء اللحد أي من جهة رأس الميت وجدت بقايا طشت من الفخار في قعره ثقب نصب التقدمات السائلة من خلاله. وعلى جانبي فتحة الضريح صورتا شماسين يرتديان مسوحهما الدينية ويحملان شمعتين مشتعلتين. أما مقدمة اللحد وأجزاء الجدار القريبة من تلك المقدمة فان عليهما مشهدا من ميدان سباق تمثله نقطتا الدوران في المضمار. وعلى كل من هاتين النقطتين ثلاثة بروج صغيرة. وتبدو في المشهد أربع عربات خيل متسابقة كل منها بلون من ألوان السباق الأربعة. والعربة الزرقاء هي السابقة بينما تظهر البيضاء وقد انتهت بفاجعة. وراحت الخضراء تحاول كبح جماح خيلها لتتجنب الاصطدام بحطام العربة البيضاء بينما جاءت الحمراء في المؤخرة. ويظهر بين العربتين الحمراء والخضراء شخص يحمل كأس السباق ويتجه به نحو الفائز. ولا بد ان نستنتج هنا ان اللون الأزرق كان اللون المفضل لدى أريسوث التي عدت وكسبت مسابقة الحياة.

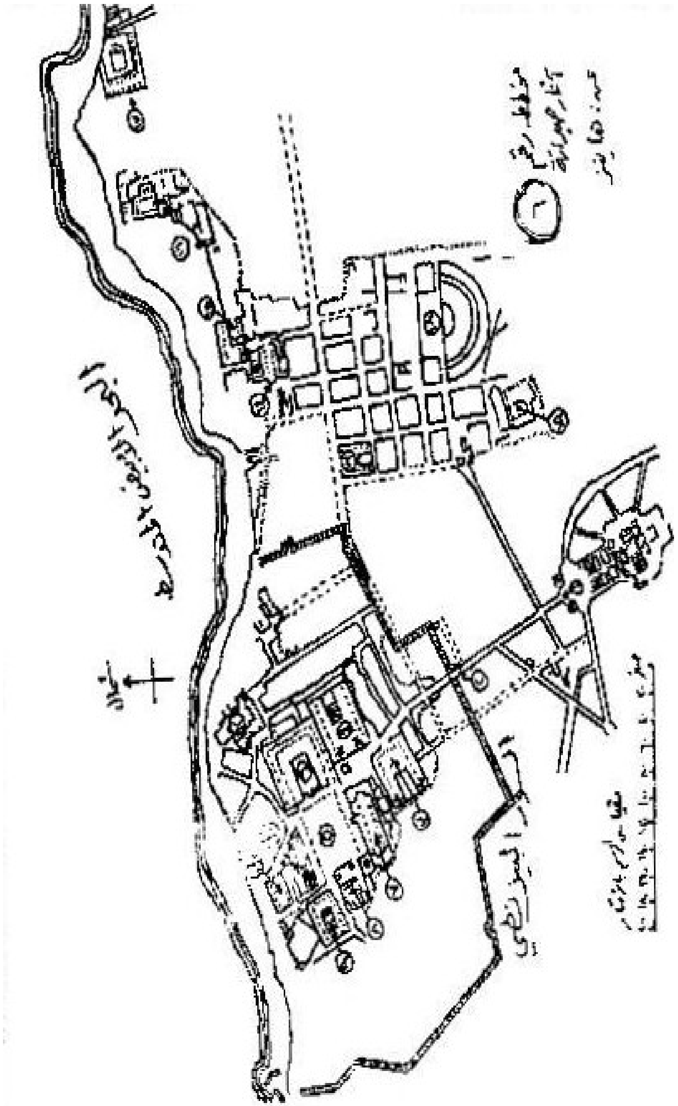
وتحتوي الفتحة الثانية في الجدار ذاته لحد ايليوس (Aelios) بن يوراثانوس (Jurathanus) الذي يبدو أنه كان زوجا لأريسوث. وقد نقشت كتابة قبره فوق الفتحة على بلاط صور على كل من طرفيها طاووس.

ويظهر ايليوس على الجدار الداخلي للفتحة وهو يرتدي المسوح ويتكئ في جنة رمز لها بشجرة وعدة زهور. أما جوانب جدران الفتحة فقد زينت بصور العديد من الأرواح الحارسة المتكئة على مشاعل مقلوبة. وقد زين السقف بصور الكرمة والطيور وبصورة سلة معلقة ومملوءة بالفواكه. وقد زود غطاء لحد ايليوس، كما في حالة غطاء لحد أريسوث، بطشت فخار للمتقدمات السائلة ورسمت عليه بالدهان صورة أسد تحمل الكلمات (Qui Leo Jacet) (= هنا يرقد أسد).

وفي النهاية الشرقية للجدار الجنوبي فتحتان مقوستان فيهما فسقيتان يبدو أنهما لم تستعملا.

صبراته

وجدت بعض آثار صبراته الفينيقية تحت صبراتة الرومانية في المنطقة ما بين الفورم (5) والبحر؛ فقد وجدت تحت أقدم المنازل الدائمة مصاطب أكواخ مؤقتة بين الواحدة والتي تحتها طبقة من الرمل الذي كانت تأتي به الرياح مما يدل على أن تلك المواقع كانت تقام عليها أكواخ في الموسم المناسب ثم تنتهي بانتهاء الموسم فتبقى مصاطبها المكونة من التراب المدكوك مكشوفة فتغمرها الرياح بالرمل. ثم تقام تلك الأكواخ في موسم لاحق وهكذا. وقد وجدت في مصاطب هذه الأكواخ فخاريات يونانية يرجع تاريخها إلى القرن السادس وأوائل القرن الخامس قبل الميلاد. وربما كانت أول مستوطنة فينيقية دائمة في صبراتة قد أنشئت في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد حينما كانت تتألف من منازل صغيرة الحجرات مبنية إلى حد ما بآجر الطين ومحاطة بسور سميك اكتشفت أُسسه تحت الجهة الشمالية من ساحة معبد ليبر باتر (6). وخلال القرنين التاليين توسعت هذه المستوطنة حتى الجهة الجنوبية الجنوبية من معبد أنطوني (4). ويبدو أن سوق المدينة الفينيقية كان يقع في المنطقة التي اقيم عليها فيما بعد الفورم الروماني الذي وجدت تحته آثار بناية فينيقية عامة كبيرة وعدد من المنازل الأخرى. ولم تنشأ المستوطنة الفينيقية في صبراته وفق



خطـة منظمـة. يدل علـى ذلك خطوطها التي ظلت قائمة إلى الشـمال من معبد ليبر باتر بالرغم من الأبنية التي أقامها الرومان أو أعادوا بناءها. وقبيل نهايـة القـرن الأول قبل الميلاد بدئ بتحويل المدينة مـن فينيقية إلى رومانية ولكن عملية التحويل هنا سـارت أبطأ مما سـارت عليه في لبدة. وكانت نواة المدينة الرومانية في صبراتة تتالف من الفورم ومعبدي ليبر باتر وسـيرابيس (Serapis) (9). ومـن ثم راحت تتوسـع باتجاه الداخل وفقا لخطة منظمة إلى حد ما وقائمة على أسـاس وجود شـوارع مستقيمة متعامدة. وما زالت حـدود هذه المدينة الامبراطورية غير معينة من الجهة الجنوبية. وفي النصف الثانـي من القرن الميلادي الثاني أقيمت في صبراته ضاحية جديدة إلى جانب البحر والى الشرق من الآثار الحالية. واعتمدت في انشاء هذه الضاحية خطة الشـوارع المسـتقيمة المتعامدة ابتداء من البحر إلى المسـرح (18). وهكذا كان محورها الرئيسي يشكل زاوية قائمة مع الطريق الساحلي الذي إحتوته الضاحية الجديدة وجعلته أهم شارع من شوارعها.

ولم يكن من أبناء صبراتة – كما كان من أبناء لبدة – أباطرة يشجعونها على العيش في مسـتوى أضخـم من مواردها. ولذلك فنحـن لا نلاحظ هنا تدهورا وانحطاطا سريعا خلال القرنين الميلاديين الثالث والرابع. تشير نشاطات أبنـاء صبراته في مجال إعادة تشـييد الأبنية العامة التـي هدمت إثر غارات الأسـتوريين إلى أن المدينة كانت لا تـزال تحتفظ بكثير من حيويتها. والانهيار الخطير الذي أصيبت به المدينة انما يظهر في القرن الميلادي الخامس تحت حكم الوندال عندما هجرت منطقة المسرح جميعها (باستثناء الكنيستين 14 و 15) بالاضافـة إلى منطقة كبيرة من المدينة الامبراطورية القديمة. والواقع أن السور البيزنطي لم يكن يشمل الا جزءا صغيرا من المساحة التي بلغتها هذه المدينة في ذروة عمرانها.

ومادة البناء الرئيسـية المسـتعملة في صبراته هو الحجر الرملي المأخوذ من المنحدرات الجنوبية للحافة الساحلية. ولكي يحال بين هذا الحجر الرملي والتفتت فقد كان الوجه البارز منه يطلى بالقصارة. وبزداد استعمال الرخام ابتداء من القرن الميلادي الثاني فصاعدا ولكنه لا يبلغ من الكثرة الحد الذي

بلغه في لبدة. ويمكن الكشف عن تعمد الاقتصاد في استعماله هنا حتى في الأبنية العامة من مثل معبد الفورم الجنوبي (3) ومعبد انطونين فقد اقتصر استعمال الرخام في المعبدين على تزيين الواجهة الأمامية. اما الجوانب والخلف فقد اكتفى بقصارتها.

وكشفت الحفريات في صبراتة عن وجود عدد كبير من المنازل الخاصة، خلافا لما حدث في لبدة، مما يساعد على تكوين فكرة واضحة عن حياة المدنيين المنزلية. فهذه المنازل غالبا ما تكون وفقا لمخطط ضيق ولكن ما تبقى من آثارها يدل على ان الكثير منها كان يتألف من طابقين والعديد منها كانت لها آبار ماء تحت الطابق الأرضي تتجمع فيها مياه الأمطار الساقطة على السطح. وكانت مصاطب الفسيفساء واسعة الاستعمال كما أن وجوه الجدران من الداخل كانت تدهن غالبا وتزين. ولا يزال بعض تلك الزينة والفسيفساء في الأماكن التي كانت فيها أصلا وإن كان أفضلها قد نقل إلى المتحف المجاور حيث تحتفظ كذلك مجموعة كبيرة من الأشياء الصغيرة المستعملة في المنازل في الحياة اليومية من مثل الأواني الفخارية والزجاجية والبرونزية وما شابهها.

آثار صبراتة:

يقع مدخل الآثار (1) مقابل المتحف الحالي مباشرة على بداية شارع الكاردو أي الشارع المحوري الرئيسي للمدينة القديمة الذي يؤدي إلى الفورم ممتدا باتجاه الشمال الغربي. فاذا سرت من هناك فاجتزت تقاطع الطرق ومنزلا كبيرا له حمام (على اليسار) فانك تصل إلى البوابة البيزنطية (2) التي بنيت بمواد مأخوذة من الآثار السابقة. وكانت هذه البوابة بشكلها الأصلي عبارة عن مدخل ضيق يقوم على جانبيه برجان مربعان. وما زالت عتبة هذه البوابة قائمة في موقعها وهي من الحجر الكلسي. وتظهر على البرج الشرقي آثار كشك حراسة. ومن هذه البوابة تجد درجا حديثا يؤدي بك إلى الشارع الروماني الذي كان مستواه منخفضا إلى حد كبير عن مستوى الشارع البيزنطي. وفي وقت لاحق أقيمت بوابة جديدة إلى جنوبي القديمة. ومن الملاحظ أن مستوى الأرض عند بناء هذه البوابة الجديدة كان قد ارتفع

بشكل ملحوظ عما كان عليه مما دعا إلى وضع درجة للصعود إلى البوابة الجديدة. وهذه الدرجة عبارة عن قطعة من عمود سابق.

واذا تابعت سيرك على شارع الكاردو المذكور وجدت نفسك حول الجهة الغربية من حي سكني يلفت النظر ثم تصل إلى معبد الفورم الجنوبي (3) على يسارك. وهذا المعبد الذي لم يعرف لمن كان تكريسه يرجع في تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الميلادي الثاني، وكان مقاما في مؤخرة ساحة مستطيلة ضلعه الشرقي والآخر في منتصف ضلعه الجنوبي. وعلى مقدمة الساحة وجوانبها ممرات مستورة معمدة بأعمدة كورنثية ومرصوفة بالرخام الذي زينت به بعض جدرانها كذلك، باستثناء جدار الممر الشرقي فقد كان مقصورا ومزينا بالدهانات. والساحة امام المعبد مرصوفة ببلاط الرخام الكبير. اما بقية اجزائها فهي مرصوفة بقطع رخامية صغيرة مستطيلة تظهر بينها فتحات المجاري التي كانت تستوعب مياه المطر. وكان مدخل المعبد نفسه عبارة عن درج عريض من الرخام. وتدل قطعة من عتبة رخامية موضوعة الآن امام هذه الدرج على ان التسوية الأمامية لهذا المعبد كانت كلها من الرخام وإن كان يبدو أنه اكتفى بكسوة الجانبيين بالقصارة فقط.

وإلى الشمال من معبد الفورم الجنوبي يتسع الكاردو ليكون فناء مربعا يقوم في ضلعه الشرقي مدخل تذكاري يؤدي إلى معبد أنطونين (4). وهذا المدخل يرتفع عن مستوى الفناء فوق سلم عريض من خمس درجات. والمعبد نفسه يقوم مستندا إلى الجدار الخلفي للساحة التي كانت محاطة من الجهات الأخرى بممرات مستورة معمدة باعمدة كورنثية. وما زالت على هذا المعبد بقايا كتابة تدل على أنه كرس لماركوس أوريليوس ولوسيوس فيروس ما بين سنة 166 – 169 م. ولدى مغادرة الفناء المربع المذكور يمر المرء ببقايا نافورة مربعة وضعت في مركزها وعلى زواياها الأربع قواعد تماثيل. وهذه النافورة هي واحدة من اثنتي عشرة نافورة كان رجل اسمه فلافيوس تولوس (Flavius Tullus) قد أهداها للمدينة في أواخر القرن الثاني الميلادي. وتدل الكتابات الأثرية على أن هذه النوافير جميعها كانت مزنرة بالرخام ومزينة بالتماثيل، وكان فلافيوس تولوس المذكور يدفع نفقات امداد تلك النوافير

بالماء. والى الغرب من النافورة المذكورة مر ضيق مقدس يصل بين الفناء المربع والفورم (5) الذي كان في العهد الامبراطوري عبارة عن ساحة مكشوفة مستطيلة تحيط بها ممرات مستورة معمدة. وكانت أعمدة الممر الشرقي من هذه الممرات كورنثية بينما كانت جذوعها من الرخام الأبيض مما يشير إلى أنها ترجع إلى الربع الأخير من القرن الميلادي الرابع عندما رممت أبنية المدينة إثر الدمار الذي ألحقته بها غارات الأستوريين.

ويقوم مقابل الفورم معبد لبر باتر أوديونيسوس الفينيقي. ويرجع تاريخه إلى أواخر القرن الأول الميلادي. وقد كان بهوه محاطا بأعمدة حرة ستة منها على النهايتين، وثمانية على الجانبين اذا ما عددنا أعمدة الأركان مرتين. وأعمدة هذا المعبد التي أعيد نصب بعضها في الجهة الجنوبية هي من النوع الكورنثي وهي من الحجر الرملي المقصور. وفي داخل هذا المعبد آثار بنايتين قديمتين إحداهما كانت في الأرجح منزلا والأخرى كانت معبدا ربما كان تاريخ بنائه يرجع إلى أوائل القرن الميلادي الأول.

وفي الجهة الجنوبية من الفورم كانت تقوم الباسيليكا (7) التي تدل بقاياها على ثلاث مراحل مختلفة من البناء: الباسيليكا رقم (9) التي قد تكون شيدت حوالي منتصف القرن الميلادي الأول وهي عبارة عن بهو مستطيل كبير لها مدخل في وسط ضلعها الشمالي الطويل المقابل للفورم. وكانت محاطة من الداخل على جوانبها الأربعة باعمدة ذات قواعد ضخمة وربما كان يرتكز على هذه الأعمدة سقف خشبي يظلل الممرات الجانبية. وكان الجانب المقابل للمدخل ينفتح على صف من الحجرات المتناسبة كانت الوسطى منها تستعمل كمحكمة وربما كانت هي القاعة التي وقف فيها أبوليوس أمام القضاة ليدافع عن نفسه ضد تهمة السحر التي أسندت إليه. ولكن اكتشاف تماثيل لبعض الأباطرة في هذه القاعة، وهي تماثيل تعود إلى القرن الميلادي الأول، يدل على أنها استعملت أيضا كمعبد للأباطرة. وكانت هذه القاعة وبقية الباسيليكا مبلطة بالرخام، واستمر استعمالها حتى ظهر أنها أصبحت أضيق من أن تتسع للناس اللذين كانوا يجتمعون فيها في شتى المناسبات. وآنذاك أقيمت قاعة محكمة جديدة في الجانب الغربي

منها. وظلت هذه الباسيليكا الموسعة تستخدم حتى دمرت في أواخر القرن الميلادي الرابع. وبعد تدميرها بقليل أعيد بنائها على طراز الباسيليكا السويرية في لبدة أي على شكل بهو مستطيل يقسمه طوليا صفان من الأعمدة إلى صحن وممر جانبي. وقد جاءت الباسيلكا الجديدة أقل عرضا من سابقتها بحوالي أربعة أمتار كما انها جاءت أقصر منها بكثير. واستخدم في تبليطها بلاط رخام أخذ من الباسيليكا القديمة. ويدل وجود سلم درج خلف جناحها الشرقي على انه كان بها صالات صور كتلك التي كانت في باسيليكا لبدة. ولكن هذه الباسيليكا الجديدة لم تعمر طويلا اذ إنها حولت حوالي سنة 450 م. إلى كنيسة رقم (111) يجري الدخول إليها من ثلاثة مداخل مقوسة ومتتالية في نهايتها الشرقية. وفي العهد البيزنطي أقيم مذبح للكنيسة في الجانب الغربي من الصحن وهو ربما كان من الخشب في البداية ولكن ما تبقى من الآثار يدل على أن مذبحا من الرخام كان قد أقيم في الكنيسة وقت ترميمها على أيدي البيزنطيين. ويلاحظ أن أرض الكنيسة البيزنطية أعلى من أرض كنيسة القرن الميلادي الخامس، كما ان المذبح البيزنطي رفع على أساس من تسع قواعد أعمدة مقلوبة. وكان بناة القرن الميلادي قد حولوا قاعة المحكمة إلى معدانية باقامة جرن مستطيل في فجوة في حائطها الخلفي. ولكن البيزنطيين أقاموا معمدانية جديدة في بناية قريبة من الزاوية الشمالية الغربية للكنيسة. أما نافورة المحكمة الغربية فقد سدت وحل محلها مذبح.

وفي الجانب الغربي من الفورم كان الكابيتوليوم (8) (Capitolium) أي معبد الثالوث الالهي (جوبيتر، جونو، منيرفا). وكان هذا المعبد في البداية، أي في النصف الأول من القرن الميلادي الأول، مبنيا من الحجر الرملي المقصور، وفي النصف الثاني من القرن الميلادي الثاني تم تصفيحه بالرخام على نطاق واسع وأقيم أمامه وعلى امتداد أساسه منبر للخطابة زود بسلم من الدرج العريض على كل من جانبيه ليسهل الوصول إليه عن السلمين من الفورم، ولقد رمم هذا المنبر وسلمه الجنوبي في وقت لاحق. وقد أقيم خلف المنبر درج عريض يفضي إلى المعبد نفسه. وما زالت درجات الحجارة الأصلية

تشاهد تحت الدرج الرخامي الذي أقيم فيما بعد. وكانت لصحن هذا المعبد مداخل ثلاثة ما زالت عتباتها قائمة في أماكنها الأصلية وتدل تقسيمات أساس هذا المعبد على أن الصحن نفسه كان مقسما إلى ثلاثة صحون خصص واحد منها لكل من أعضاء الثالوث الالهي.

وإلى الشمال من الكابيتوليوم، وخلف الزاوية الشمالية الغربية من الفورم توجد آثار معبد سيرابيس (9) وفنائه، وقد تم التعرف على هذا المعبد إثر اكتشاف رأس تمثال لهذه الإلهة الاسكندرية بين أنقاضه. وهذا المعبد هو من أقدم معابد صبراته الرومانية، ويرتفع فناؤه المستطيل عن مستوى الشوارع المجاورة، كما أن جانبه الشرقي كانت به ثلاثة مداخل تواجه مقدمة المعبد. وفي الأصل كانت أعمدة الممرات المستورة حول أضلاع الفناء من الحجر الرملي المقصور، ولكن أعمدة المقدمة والجانبين استبدلت فيما بعد بأعمدة من الرخام الرمادية متوجة بتيجان كورنثية، ولقد أنشئ هذا المعبد وفقا للتقليد الهلينستي أي في وسط الفناء، ولكنه رفع عن مستوى الفناء وزود بدرج حجري من الجهة الشرقية فقط، وقد كسي هذا الدرج بالرخام في وقت لاحق.

وتقوم وراء الممر الشمالي للفورم آثار للكوريا أي المجلس البلدي (10) وقد جرى بنائه في آخر القرن الميلادي الرابع على انقاض بناء سابق يغلب على الظن أنه تهدم على أيدي الأستوريين. وكان هذا المجلس عبارة عن قاعة اجتماعات مستطيلة تفتح إلى الشرق مقابل أحد رؤوس فناء مثلث صغير يدخل إليه الناس مباشرة من الفورم بواسطة مدخلين في ضلعه الجنوبي الطويل: واحد في الوسط والثاني بجوار الزاوية الجنوبية؛ ولا تزال ثقوب مزلاجيها ماثلة للدلالة عليها. وربما كان هنالك مدخل ثالث بجوار الزاوية الجنوبية الشرقية.

ويتصل هذا الفناء بالكوريا بواسطة مدخل في طرفه الغربي، تبدأ بعده مباشرة مصطبة بعرض الغرفة مكونة دهليز يقوم وراءه وعلى مستوى أعلى قليلا من مستواه ممر عريض يسير حتى منتصف المصطبة. وعلى جانبي هذا الممر كانت أدراج منخفضة توضع عليها مقاعد أعضاء المجلس.

وفي الطرف الغربي من الغرفة تشرف الدرجتان الأولى والثانية على منصة مكونة من امتداد الدرجة الثالثة عبر الجدار الخلفي؛ كان القضاء يجلسون عليها. ويظهر على طول مؤخراتها نتوء كالرف ربما كان قاعدة مستطيلة تثبت عليها التماثيل. وكانت أرض الغرفة والمنصة والدرج مكسوة بالرخام ولكن القسم الأكبر منه قد اختفى.

وبين الكوريا والبحر فناء غير منتظم الشكل يقوم على جانبه الغربي منزل بيزنطي قد شمل بعض موقع معبد سيرابيس. وعلى الجانب الشرقي لهذا الفناء كانت تقوم باسيليكا جستنيان أي كنيسته المشهورة. ويلاحظ أن القسم الأكبر من منبر هذه الكنيسة في الجانب الشمالي من الصحن إنما هو عبارة عن قطعة من كرنيش الكابيتوليوم. ولعل أبرز ملامح هذه الكنيسة هي الفسيفساء الموجودة حاليا في متحف صبراته؛ وتظهر على زنار منها، أخذ أصلا من صحن الكنيسة، كرمة رمزية محملة بالعنب وعلى غصونها الملتوية أعداد كبيرة من الطيور بينها عنقاء وسلوى في قفص وطواويس. أما الزنانير الأخرى فهي مزخرفة تقليدية وهندسية لا تقل أثرا عن زخرف الزنار الأول المذكور. وتدل نوعية هذه الزخارف على أن صناعها لم يكونوا محليين وانما كانوا من فناني الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

والى الشرق من باسيليكا جستنيان يقوم حي سكني وتجاري مهم ما زال يحتفظ بشيء من طابع الخطة غير المنتظمة للمدينة التي سبقت قيام المدينة الرومانية. واذا سرت في الجانب البحري من هذا الحي فانك تصل إلى زنقة (زقاق) تقطع هذا الحي من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. وأول بناء في الجهة الشرقية هو معصرة زيت زيتون قديمة صغيرة تحتوي قصعة الدرس وفراغا للعصارة وعددا من الأحواض المبطنة بالاسمنت. فاذا درت على شمالك في الطرف الجنوبي من هذه الزنقة ثم دخلت أول دورة على يمينك وجدت نفسك في مكان مكشوف وغير منتظم الأضلاع وهو موقع الحمامات البحرية (12) التي كانت أكبر مؤسسة حمامات في صبراته وان كانت لا تقارن بشيء مع حمامات هدريان في لبدة. ولقد تأثرت بناية

الحمامات كثيرا بعوامل التعرية إلى حد أن خطة انشائها لا يمكن استعادتها كاملة. وكان المدخل الرئيسي يفضي إلى قاعة مستطيلة كسيت أرضها وجدرانها ببلاط الرخام. وعلى اليسار دهليز قصير يؤدي إلى دورة المياه التي رصفت أرضها ببلاط الرخام وأقيم سقفها على عمودين كورنثيين وما زالت ترتيبات السيفونات (المقاعد) وشبكات المجاري في حالة جيدة. ومن ميمنة هذه القاعة يبدأ ممر طويل غطيت أرضه بالفسيفساء السوداء والبيضاء وهو يفضي إلى صف من الحجرات جانب البناية الشرقي، كما أنه ينتهي بغرفتين صغيرتين خلفهما حجرة كبيرة رصفت أرضها بالفسيفساء الملونة. والى جانب هذه الغرفة الأخيرة من الجهة الشمالية غرفة فيها حمام مستطيل يشغل طرفها الغربي.

فاذا عدت إلى المدخل ودرت على شمالك أولاً وثانياً فانك ستجد نفسك في شارع مهم على يمينك يمتد موازيا لشارع الكاردو وتقوم عليه منازل كبيرة تعتبر نماذج للمنازل التي كانت سطوحها معمدة لكي تجمع مياه الأمطار الساقطة عليها في آبار تحت أسسها. وفي الطرف الجنوبي من هذا الشارع ثغرة حديثة في السور البيزنطي تنفتح على الديكومانوس الذي يمتد مع السور البيزنطي باتجاه الشرق نحو حي القرن الميلادي الثاني من المدينة. وعلى مسافة ثلاثين ياردة شرقي هذه الثغرة توجد بقايا ضئيلة لقوس ذي أربعة أوجه كان مقاما على تقاطع الطرق ويحجب إلى الغرب منه كوعا في الديكومانوس كان ناتجا عن التقاء الحي القديم بالحي الجديد. وكانت المنطقة إلى الشرق من هذا الكوع تستعمل كمقبرة مسيحية.

ويلاحظ وجود قبر مقصور بارز في وسط الطريق وهو مدهون باللون الأحمر وعليه شعائر مسيحية (صليب، طواويس، حمائم) ونقش يسجل دفن طفلين أحدهما عمره ثلاث سنوات والآخر ست سنوات. ويعتبر هذا القبر نموذجا مبكرا لهذا النوع من القبور وربما كان تاريخه يرجع للقرن الميلادي الخامس.

وأول بناية على يمين الديكومانوس بعد الدخول إلى الحي الجديد هي معبد هيرقوليس (13). وهي تقوم في مؤخرة ساحة مستطيلة مقابل المدخل

الوحيد من جهة الشارع. وعلى طول جوانب الساحة كانت ممرات مستورة ذات أعمدة كورنثية. وتدل كتابة تكريس هذا المعبد على انه كرس سنة 186 م. ويلاحظ الدرج تمثال لهرقوليس وهو جالس، وجدت قطعة منه في الموقع نفسه.

والى الشرق من معبد هيرقوليس مباشرة مؤسسة حمامات غير منتظمة تعرف باسم حمامات المسرح. وكان هنالك ممر يتفرع من الشارع ويسير تاركا دورة مياه على جهته اليسرى حتى ينتهي إلى شقة مكونة من ثلاث غرف أمامية ربما كانت تستعمل لتغيير الملابس. وفي الجهة الشرقية مدخل ربما كان يؤدي إلى الفريجيداريوم؛ وهي هنا غرفة مستطيلة تنفتح من جهتها الجنوبية الطويلة على مغطسين باردين مسقوفين. وكانت بين فسيفساء هذا الحمام ميداليتان (هما الآن في المتحف) تمثلان الأدوات التي كان المستحمون يستعملونها من مثل زجاجات الزيت. وقد كتب على الميدالية الأولى (Bene Lava) (= حمام سعيد). وكاتب على الأخرى (Salvom Lavisse) (= الاستحمام مفيد لك). وكانت جدران الغرفة مزنرة ببلاط الرخام كما كان في الجانب الشمالي من الفريجيداريوم بابان سد الشرقي منهما في وقت لاحق. أما الباب الغربي فإنه كان يؤدي إلى ممر يفضي إلى صالتين صغيرتين ومن ثم إلى الكالداريوم التي كان بها حمام ساخن يحمى بشبكة تسخين تحت أرض الغرفة. . ولا تزال آثار الموقد، الذي كان له مدخل من الخارج فقط، ماثلة عند الطرف الشمالي للمغطس.

وإذا تابعت الديكومانوس شرقا وأخذت الدورة الثالثة على يسارك، معتبرا الشارع المحاذي للجانب الشرقي من حمامات المسرح الدورة اليسارية الأولى، فانك ستجد نفسك عند كنيستين مسيحتين (14، 15) تدل حالتهما الأصلية على أنهما ترجعان إلى اواخر القرن الميلادي الرابع الأنهما أدخلت عليهما تعديلات واسعة في وقت لاحق ربما كان بعد استعادة البيزنطيين لطرابلس من الوندال.

وكان أمام الطرف الشرقي من الكنيسة الكبرى الواقعة إلى الجنوب

فناء مستطيل استعملت في بنائه مواد من جدران سابقة وكان القسم الأوسط المكشوف من هذا الفناء محاطا بممر مستور ذي أربعة أوجه واعمدة ذات أربعة زوايا في أركانه الأربعة. ومن هذا الفناء كانت أبواب ثلاثة تفضي إلى الجهة الشرقية من الكنيسة. أما الكنيسة ذاتها فهي في خطتها كالباسيليكا العادية في أن لها صحنا وممرين جانبيين وقد استعملت في بنائها مواد بنايات سابقة. ولكن البيزنطيين أقاموا جدراناً جانبية جديدة داخل الجدران القديمة ليضيقوا مساحة السقف. وأعمدة الصحن كورنثية وذات جذوع من الجرانيث الرمادي كانت قد اخذت من بناء يرجع تاريخه إلى حوالي سنة 200 م. وكان فيها مذبح من الخشب أولا ثم من الرخام في عهد البيزنطيين؛ ولا تزال بعض أجزاء قاعدته ومنصته محفوظة، وتظهر في القاعدة ثقوب للأعمدة الصغيرة التي كانت تحمل قمة المذبح الرومانية. وكانت أرض الصحن مغطاة بفسيفساء ملونة هي من عصر الكنيسة الأصلية.

وهناك باب في الزاوية الجنوبية الغربية يفضي إلى حجرتين من بناية قديمة ولكنهما أدمجتا في الكنيسة. وكانت الثانية منهما ذات سقف يقوم على عمودين كما انها كانت تستعمل معمدانية؛ يدل على ذلك وجود جرن معمدانية مربع حفر في وسط المصطبة. وتدل فسيفساء مصطبتي هاتين الحجرتين على أنهما كانتا معاصرتين للكنيسة الأصلية اذ إن أسلوبها يشبه اسلوب فسيفساء صحن الكنيسة. وقد أقيمت في وقت لاحق معمدانية جديدة في شقة من الغرف في الجهة الشمالية من الكنيسة.

وتقع الكنيسة الصغرى على بعد بضعة أمتار إلى الشمال الشرقي من الكنيسة الكبرى وعلى الجانب الآخر من شارع ضيق. وقد بنيت هذه الكنيسة في الركن الجنوبي الشرقي من موقع مستطيل كانت تشغله قاعة كبيرة ذات أجنحة ثلاثة ربما كانت مستودعا. وقد تم كشف أساسها ووجدت في الموقع منصة المذبح ويرجع تاريخها إلى فترة البناء في العهد البيزنطي عندما رفع مستوى أرض الكنيسة جميعها.

وعلى بعد مائة ياردة إلى الشرق من هذه الكنيسة على امتداد الشاطئ

تقوم بقايا حمامات أوكيانوس (16) وفيها غرفة كبيرة في الجهة الشرقية من البناية لابد أنها كانت حمامات باردة «فريجيداريوم» أو دافئا «تبيداريوم». ونلاحظ في هذه الغرفة حوضين للماء البارد كلا منهما في جهة. وقد وجدت في أرض هذه الحجرة وعلى حافتي الحوضين فسيفساء من نوعية عالية نقلت منها إلى متحف صبراتة قطعة تمثل رأس اله البحر الذي سميت هذه الحمامات حاليا باسمه. وفي الزاوية الشمالية الغربية لهذه الحجرة باب صغير زينت عتبته بالفسيفساء التي تصور نظام الاستحمام (صورة صندل وزجاجة زيت). وهو يفضي إلى غرفة الحمامات الساخنة التي كانت تتمتع بجهاز تسخين يثير الاهتمام وهو عبارة عن دورة هواء ساخن كان يمر خلال آجر مجوف تحت وجوه الجدران.

وعلى بعدة مائة ياردة أخرى إلى الشرق من هذه الحمامات تقوم آثار معبد ايزيس الذي تم التعرف عليه باكتشاف تمثال صغير وقطعة من تمثال كبير لايزيس بين أنقاضه. ويرجع تاريخ هذا المعبد (14) إلى أواخر القرن الميلادي الأول وهو مشيد على أنقاض معبد صغير وكان يحيط به فناء مستطيل معمد له مدخل تذكاري في نهايته الشرقية. ويقوم صف من الغرف على طول نهايته الغربية. ولم يبق من صحن هذا المعبد شيء ولعله كان عبارة عن قاعة مستطيلة مقسومة طوليا إلى قسمين متناسبين مع القاعتين المسقوفتين من تحتهما. ولا بد أنه كان محاطا من الخارج بصف من الأعمدة الكورنثية.

وعلى بعد نصف ميل إلى الشرق من هذا المعبد أي على بعد مائتين وخمسين ياردة من البحر يقع المسرح الروماني المدرج الذي ربما كان أنشئ في أواخر القرن الميلادي الثاني. وتبلغ مساحة حلبته البيضاوية ثلثي مساحة نظيرتها في مدرج الكولوسيوم بمدينة روما. وتدل ضخامة هذا المدرج على مدى ما كانت صبراتة قد بلغته في هذه المرحلة من تقدم وثراء.

أما المسرح (18) فهو من أبرز آثار صبراتة وهو مركز الحي الجديد الذي أُنشيء في أواخر القرن الميلادي الثاني. وعندما اكتشف هذا المسرح لم يكن

قائما منه سوى أجزائه الدنيا؛ ولكن الإيطاليين القائمين بالعمل تمكنوا بعد دراسة دقيقة لآثاره المبعثرة ان يرموه ترميما شاملا ودقيقا. وكان هذا المسرح من الطراز الروماني المألوف: تتصل قاعة استماعه شبه الدائرة المكونة من ثلاث طبقات بمسرح مستطيل طويل يوازيها ارتفاعا. ويقوم البناء كله على منبسط صخري في وسط منخفض استغل ليكون الجزء الأدنى من قاعة الاستماع. وكانت مادة البناء الرئيسية المستعملة فيه هي الحجر الرملي الذي كسيت الأجزاء الظاهرة منه بالقصارة البيضاء.

وكانت مقاعد قاعة الإستماع مقسمة إلى ثلاثة قطاعات بواسطة ممرين شبه دائريين. كان الممر الأعلى يتصل بالممر الأرضي الداخلي بواسطة خمسة ممرات رأسية. ومن هذين الممرين كان المتفرجون يصعدون أو ينزلون إلى الصف المعين الذي يجلسون عليه بوساطة الممرات الرئيسية التي كانت تقسم كلا من القطاعات الثلاثة إلى قطاعات أخرى من المقاعد كل منها على شكل اسفين كبير. وكانت حول محيط الأوركسترا المبلطة بالرخام أربع درجات رخامية منخفضة توضع عليها كراس للشخصيات البارزة. وكانت الأوركسترا تنفصل عن قاعة الإستماع بستارة منخفضة من الرخام في وسطها فتحة وعلى طرفيها شكل سمكة دلفين.

وإلى الجنوب الغربي من المسرح يقع المنزل المسمى بيريستايل (Peristyle) نسبة للفنان – البستان الذي بني المنزل حوله. وهذا الفناء – البستان مستطيل في الشكل وان كان منحنيا قليلا في إحدى نهايتيه. وقد كان محاطا بالاعمدة. إن منزل البيريستايل هذا أقدم من حي القرن الثاني للميلاد. والأرجح أنه أنشيء خلال القرن الميلادي الأول كفيلاًّ خارج المدينة.

وعلى بعد مائتي ياردة إلى الجنوب الغربي من مدخل الحفريات (1) توجد آثار وحدة حمامات صغيرة تابعة لفيلات خاصة. وهي على طراز الحمامات الرومانية التي سبق التحدث عنها.